في الفن والتربية

مدرس الرسم

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

لى صديق زرته ، فرأيت ابنه يرسم باذنجانة ؛ فسألته لماذا يرسمها فقال لى :

— أستعد لامتحان الملحق

— وهل وقفت فى الرسم ؟

— نعم

— وحده ؟

— وحده

— مسكين . على أى حال الرسم هين ، وتستطيع بالمثابرة الخفيفة أن تتقنه بالقدر المطلوب منك

— إني أرسم كل يوم مائة باذنجانة ، ومائة قلة ، ومائة طربوش ، ومائة صندوق مفتوح ، ومائة صندوق مقفل ؛ ومع هذا فإن أبى لم يرض عن رسم واحد مما أرسم ، فامتنع فى أنت معروفاً ،وقل لى كيف أرسم وكيف أتقن الرسم

— ألم يقل لك معلمك الذى كان يعلمك الرسم فى المدرسة كيف ترسم

— قال كثيراً ، ولا زلت أحفظ ما قال حتى إنى لأضمن النجاح فى الرسم لو أنهم امتحنونى فيه امتحاناً شفوياً

— أسمعنى ما قال لك معلمك ...

— قال لى يا سيدى : إن الشكل إما أن يكون فى مستوى النظر وإما أن يكون فوق مستوى النظر وإما أن يكون تحت مستوى النظر ، فإذا كان فى مستوى النظر رسمناه مستقيماً ، وإذا كان فوق مستوى النظر جعلنا جزءه الأسفل هو القاعدة واتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع فوق هذه القاعدة وتلتقى فيها هذه الخطوط ، وإذا كان الشكل تحت مستوى النظر جعلنا جزءه الأعلى قاعدته واتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع أسفل هذه القاعدة وتلتقى فيها هذه الخطوط...

أرأيت الآن أنى أحفظ الرسم عن ظهر قلب . . . وليس هذا فقط . . . وإنما قال لنا أيضاً : إن الضوء إذا كان آتياً من اليمين فإن الظل يكون فى الشمال، وإنه إذا كان آتياً من الشمال فإن الظل يكون فى اليمين ... فاذا تريد أكثر من ذلك ...

— لا شيء ... وإن معلمك لم يقصر ، وكان عليك أن تطبق فى رسمك هذه القواعد فتنجح ...

— صدقنى أنى أطبقها ، ولكنى لا أدرى لماذا لا أنجح فى الرسم ... لقد كرهته حتى لم أعد أطيق دروسه

— لماذا ؟

— أليس فى الدنيا شيء نرسمه غير الباذنجانة والطربوش والقلة والصندوق المفتوح والصندوق المقفل ... كل هذه أشياء ثقيلة الظل مثل صاحبها

— ومن صاحبها ؟

— الأفندى الذى يعلمنا الرسم . يدخل الفصل ومعه المنظور ويضعه أمامنا ، ويقول لنا : هو الآن فوق مستوى النظر أو تحت مستوى النظر، والضوء آت من اليمين أو الشمال ، فارسموه ، ثم يبدأ يطوف بنا ليصحح لنا الأشكال السابقة ، وليلق نظرة على الشكل الجديد ، وليس عنده غير الضوء والظل ومستوى النظر ...

— وماذا كنت تريد منه أكثر من ذلك ؟

— أنا ؟ ... لا أدرى ، ولكن ابن خالى يقص لى قصصاً لذيذة عن معلم الرسم الذى يعلمهم ، يقول لى إنه رجل خفيف العقل ، وإنه يضحكهم كثيراً ، وإنه يخرج لهم من جيبه لعباً غريبة ؛ ويقول لهم : أنظروا إليها قليلاً . ثم يقول لهم : أغمضوا أعينكم قليلاً وارسموها بأصابعكم فى الهواء وأنتم مغمضون ، ثم يقول لهم : افتحوا أعينكم وارسموها بالأقلام على الورق . وقد أصبح ابن خالى الآن يستطيع أن يرسم رسماً حسناً أحسده عليه

— ولماذا لا تتبع أنت هذه الطريقة ...

— إننى لم أر هذه اللعب ؟

— ليست هذه اللعب ضرورية ، فأنت تستطيع أن تستبدل بها أى شىء ... وتستطيع أن تبدأ منذ الآن ... أنظر إلى هذه الشجرة قليلاً . . ثم أغمض عينيك ... ارسمها فى الهواء بأصبعك ... هذا حسن ... والآن ارسمها على الورقة بالقلم ... عال ، عال ... تكاد تكون هى ، أما كان يصح أن تقتبس هذه الطريقة من تلقاء نفسك ...

— كنت أظنها لا تنفع إلا فى اللعب ...

— لا ... إنها تنفع فى كل شىء ، وهى وحدها مفتاح الرسم

... وانطلق الولد مسروراً لأنه اهتدى إلى مفتاح الرسم ، وبقى أبوه معى وقال لى :

— أنا أيضاً كنت أرسب فى الرسم لما كنت تلميذاً

— وأنا أيضاً

— ولنا وللولد العذر ، فالرسم موهبة من الله ولا يصح أن نطالب به كل إنسان ، ولست أدرى لماذا تصر وزارة المعارف على أن تجعله مادة إجبارية ...

— صحيح أن الرسم موهبة ، ولكن ليس معنى هذا أن تتغفل وزارة المعارف تعليمه تلاميذها ، وإنما الواجب أن تعلمهم إياه ، فالموهوب منهم تنكشف بالتعليم موهبته وتنصقل ، وغيره يتمكن بالإرشاد والممارسة من الإقبال عليه فى غير كراهية ولا تذمر ، وليس هناك شك فى أن الرسم يربى الذوق البصرى ، وليس هناك شك فى أن كل مبصر محتاج إلى تربية هذا الذوق فى عينيه إن لم يكن للرسم فللملاحظة والإدراك ، وتمييز الأشياء ، وإدراك المنظورات ... وهذا هو الذى يحمل وزارة المعارف فى الدنيا كلها على الاهتمام بالرسم والعناية به . وكل ما فى الأمر أننا هنا لا نزال فى حاجة إلى معلم الرسم الصحيح ، كما أننا لا نزال فى حاجة إلى المعلمين الحقيقيين فى غير الرسم ... وقد يؤلمنى أن أقول لك إن قليلين جداً من المعلمين هم المولعون بما يعلمون ، وإن أكثر المعلمين فى مصر يؤدون عملهم على أنه عمل يرتزقون منه لا أكثر ولا أقل ... وإلا فقل لى كم من معلمى الأدب فى مصر أدباء ، وكم من معلمى الجغرافيا فى مصر غادروا القطر أو المدن التى يعملون فيها ، وكم من معلمى الكيمياء فى مصر انشغل بتركيب أو بتحليل خارج المدرسة ، وكم من معلمى الرسم فى مصر لهم عمل يعرفه الجمهور أو لا يعرفه ...

— إن لمعلمى الرسم اتحاداً ، وقد أقام اتحادهم معرضاً زاره وزير المعارف منذ شهور وأثنى عليه ...

— لم يكن فى هذا المعرض إلا أشكال بعضها تحت النظر وبعضها فوق النظر وبعضها فى مستواه . ولم يكن المقصود من هذا المعرض إلا أن يلتفت وزير المعارف إلى معلمى الرسم فيرعاهم قليلاً لأنهم فى الحقيقة مغبونون ومظلومون أكثر من غيرهم من المعلمين

— إذن فقد أعجبتك طريقة المعلم الخفيف العقل

— من غير شك ، لأنها التدريب الطبيعى للتصور ، والتصور هو أول ما يتطلبه الرسم

— ولكنى لا أزال أطمع فى أن يرتقى تعليم الرسم عندنا إلى أكثر من هذا ، حتى نرى من تلاميذنا اهتماماً بالجمال وإدراكا له كما نرى ذلك فى أبناء غيرنا من الأمم

— أنا لا أشك فى أن الاهتمام بالجمال موجود عندنا كما أنه موجود عند كل الناس ، ولكن شعبنا لا يزال ينطلق إلى الجمال فى مطارحه الطبيعية كلما حن إليه ... والذى ينقصنا حقاً هو التفكير فى اختزان صور من الجمال لنفزع إليها كلما اشتقنا لها ... وقد يكون السبب فى امتناعنا عن هذا هو فقرنا وعدم ظهور الفنان المصرى الذى يخلد فى صورة من الصور منظراً يشتاق المصريون إلى النظر فيه باستمرار ... وأنا لا أزال أجهل هذا المنظر ...

— لا أظنه منظراً واحداً هو الذى يجذب المصريين ، فكل منظر يصح أن يجذبهم

— ولم لا ؟ ولكنى أظنهم لا يزالون فى حاجة إلى من يلفتهم إلا مواطن الحسن فى المناظر الطبيعية وفى المناظر المرسومة ... وهذا من عمل معلم الرسم ، وهو لا يستطيع أن يؤديه إلا إذا كان فناناً حساساً يتذوق هو نفسه الجمال ، ويستطيع هو نفسه أن يعبر عنه ، وهذا المعلم هو الذى يجب على وزارة المعارف أن تبحث عنه أو أن تكونه ... وأظنها قد بدأت تبحث عنه كما أنها قد بدأت

تكونه ... فقد بدأت تأخذ معلمى الرسم لمدارسها من خريجى مدرسة الفنون الجميلة العليا بعد أن تعلمهم أصول التربية فى معهد التربية ...

— وهل تحسن الظن أنت بمدرسة الفنون الجميلة العليا ومعهد التربية ؟

— المدرسة والمعهد فيما أرى يتبعان أضمن الطرق لتخريج الفنانين والمعلمين ، غير أنهما يسمحان لكثيرين من غير الفنانين والمعلمين الموهوبين بالانخراط فى سلكهما ، ويظهر أنهما لا يستطيعان أن يفعلا غير ذلك ، لأنهما لو دققا التدقيق المطلوب فى الاختيار ، فإنهما قد لا يقبلان فى العام الواحد أكثر من طالب أو طالبين ، وعندئذ تواجه البلاد أزمة فنانين ومعلمين لا قبل لها بها ...

— قد يكون التساهل معقولاً فى قبول المعلمين غير الموهوبين لأن البلاد فى حاجة إلى عدد كبير منهم ، وهذه الحاجة تتجدد وتزيد كل عام ، ولكن ما هو العذر فى أن تقبل مدرسة الفنون الجميلة العليا شباناً استعدادهم الفنى فقير ، أو عادى ؟

— ذلك لأنها مفتوحة الأبواب ، وأنها مادامت كذلك فهى تنفق على نفسها ميزانيتها المربوطة لها ، فسواء كثر الطلبة فيها أم انفضوا عنها فهى مضطرة إلى المضى فى عملها ، وما دام الأمر كذلك فهى تقبل كل عام عدداً ممن يتقدمون إليها حتى لا تغلق أبوابها ...

— ولما كان مستقبل هذه المدرسة مبهماً وغامضاً فإنه لا يقبل عليها إلا من يئس من غيرها سواء أكان موهوباً أم كان غير موهوب ، وهذه طريقة لا تؤدى إلى الخير بأى حال من الأحوال

— من غير شك ...

— أو ليست هناك طريقة يمكن أن تؤدى إلى الخير ...

— إن لم تكن هناك طريقة فمن الممكن استحداثها ... نحن الآن فى المدرسة الابتدائية ، ولكل تلميذ من تلامذة المدرسة ملف ، هذا الملف لا تجد فيه شيئاً عن التلميذ إلا أنه غاب فى يوم كذا ، وحبس فى يوم كذا ، وتغدى خبزاً قفاراً فى يوم كذا . أما أخلاقه ، وأما عقله ، وأما مواهبه فهذه جميعاً أشياء لا تجد لها أثراً فى ملفه ، بينما لو اهتمت كل مدرسة بكل تلميذ من تلاميذها ودرست أخلاقه وعقله ونفسه ، وسجلت من حوادثه وأخباره ما يدل على روحه شهراً فشهراً أو عاماً فعاماً ، فإن التلميذ ما يكاد يفرغ من مرحلة التعليم الابتدائى حتى يكون فى ملفه صورة ولو غامضة تحدد اتجاهه فى الحياة التى هيأته له طبيعته ، فإذا اتبعت هذه الطريقة فى المدرسة الثانوية فإنه ما يكاد يفرغ من التعليم الثانوى حتى يكون ملفه ناطقاً بصراحة ووضوح بالعمل الذى لا يصح أن يختار لنفسه غيره . فهذا يثبت الملف أنه سريع الخاطر سليم المنطق ، قوى الفراسة ، صبور ، جذاب يرتاح إلى الناس والناس يرتاحون إليه ، مرشد بطبيعته إلى ما يراه لا يخفى شيئاً مما يعلم فهو إذن يصلح لأن يكون معلماً ، والثانى ذرب اللسان جرىء على المغالطة ، لبق فى إظهار الحق متى يشاء وكتمانه متى يشاء ، قوى الحجة . . فهو إذن يصلح لأن يكون محامياً ... وهكذا ... لو اتبعت مداوسنا هذه الطريقة فإنها من غير شك تفلح فى تعليم تلاميذنا وتوجيههم ، ولكن مدارسنا لا تهتم بشىء أكثر من الامتحانات المتوالية ونتائجها ، ونسبتها المئوية ...

فقط لاغير

عزيز أحمد فهمى

الفصول والغايات

فى تمجيد الله والموعظة

وهو معجزة أبى العلاء المعرى فى النثر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة

فاطلب نسختك قبل نفادها

يباع فى ادارة الرسالة وثمنه ٣٠